دراسة تاريخية للنواحي العمرانية في الأندلس من خلال كتاب أعمال الأعلام للمؤرخ لسان الدين بن الخطيب (138–755 هـ /762–1354 م)

*د. وردة عبد الله عبد الحميد

** د. فرج إبراهيم محمد

المستخلص: تتناول الدراسة النواحي العمرانية في الاندلس وفق ما ورد في القسم الثاني من كتاب أعمال الأعلام للكاتب والمؤرخ ابن الخطيب. الكتاب قيد الدراسة يعتبر احد المصادر المهمة التى اهتمت برصد الفنون المعمارية، فالى جانب المعلومات القيمة في مختلف الجوانب الحضارية، احتوى هذا الجزء من الكتاب ايضا على ملامح مهمة من الانشطة العمرانية في مقدمتها بناء وتعمير المدن و المساجد والقصور. فقدم لنا الكتاب وصفا دقيقا لهذه المدن التي بناها بعض سلاطين الأندلس وعمليات تحصينها وإصلاحها مثل الزهراء والزاهرة، هذا الى جانب بناء القناطر والأرباض التي أحيطت بقرطبة والتى ذكر أن عددها قد بلغ عشرين ربضاً، وذكر أسماءها ومواقعها. و أشار ايضاً إلى العمارة الدينية وقيامهم ببناء المساجد وتعميرها وتزيينها. كما ضمن كتابه معلومات وافية حول العمارة الحربية فذكر كيف برعوا في فن التحصين وبناء القلاع وإحاطة المدن بالأسوار. وأشار في كتابه إلى بعض الأبواب ونظام السجون وإشارات بسيطة حول بعض الأربطة. تأتي هذه الدراسة ضمن حقل الدراسات التاريخية التي تهتم بالكشف عن الجوانب الحضاريه لدول الاسلام وعن جهود المؤرخين المسلمين في هذا المجال.

المقدمة

يتناول البحث دراسة مصدر من المصادر التاريخية المهمة في التاريخ الأندلسي وهو كتاب (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام) للمؤرخ الأديب والوزير الأندلسي لسان الدين ابن الخطيب. الكتاب يعد من بين أشهر وأضخم مؤلفاته التي تنوف عن الستين مؤلفاً، حيث يحتوي على مادة تاريخية قيمة لم تقتصر على سرد الحوادث السياسية وشرحها وتعليلها بل تجاوز ذلك للحديث عن نواحي عمرانية مهمة متناثرة في ثناياه. وكون العمران هو الوجه المشرق للحضارة الأندلسية، ولدوره في تشكيل حركة التاريخ، انصب اهتمامي على ما يختص بالنواحي العمرانية، التي برع فيها الأندلسيون، وتهدف الدراسة إلى جمع هذه النواحي العمرانية وتقديم مادة مهمة للباحث في الجانب العمراني، وهو ما سيتم توضيحه من خلال هذه الدراسة التي ستعتمد على المنهجين التاريخي والتحليلي. هذا وقد شمل البحث على أربعة مباحث رئيسية:

المبحث الأول المعنون "ابن الخطيب وكتابه أعمال الأعلام" تضمن ترجمه للمؤلف من حيث أسمه ونسبه وحياته وسبب تأليفه للكتاب. المبحث الثاني تضمن النواحي العمرانية في كتاب أعمال الأعلام فجاء بعنوان "العمارة المدنية"، وسنتحدث فيه عن اهتمام سلاطين الأندلس ببناء وتعمير المدن وتشييد القصور وإحاطتها بالحدائق والقناطر والفنادق والحمامات. أما المبحث الثالث

* محاضر– كلية الآداب – جامعة عمر المختار intisar.hazawi@gmail.com

** محاضر–كلية الآداب – جامعة عمر المختار farag.omar@omu.edu.ly

حمل اسم "العمارة الدينية من خلال كتاب أعمال الأعلام" وسيبين اهتمام سلاطين الأندلس ببناء المساجد وتسابقهم في ذلك. المبحث الرابع تطرق إلى العمارة الحربية، وسنبين فيه القلاع والحصون والأسوار والأبواب والسجون والأربطة التي انتشرت في الأندلس. وسنختم هذا البحث ببعض الملاحق التي توضح المدن التي بناها ملوك الأندلس وخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

المبحث الاول: ابن الخطيب وكتابه أعمال الأعلام

لسان لدين ابن الخطيب[1] (776/713هـ/ 1374/1313م): هو محمد بن عبدا لله بن سعيد بن عبدا لله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، يكنى أبو عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين. ولد بمدينة لوشة* ونشأ في غرناطة حيث تأدب على شيوخها. هو مؤرخ وطبيب وكاتب مسترسل وشاعر فحل، ذاعت مدائحه للسلطان يوسف الأول* سلطان غرناطة فاتخذه كاتبا في ديوانه "مرؤوسا بابي الحسن بن الجياب"،* ثم ما لبث أن خلف ابن الجياب في رئاسة ديوان الكتابة.[2] وعندما تولى الوزارة رافق السلطان أبو الحجاج يوسف الأول إلى المغرب الأقصى في عامي (749-755هـ/1348-1354م)، وعندما توفي السلطان اسند إليه السلطان الغني بالله* منصب الكتابة والوزارة ولقب ذا الوزارتين. واضطرته وشايات أعدائه إلى الهجرة إلى المغرب حيث حل بتلمسان لائذا بالسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز، فأحسن ضيافته وأبى تسليمه إلى غرناطة التي كانت تلح في طلبه، ولكن ما لبث أبي فارس أن توفي في 774هـ/1372م، وبويع مكانه أبنه أبو زيان محمد السعيد، ولم يبلغ الرابعة من عمره، واجتهد ابن الخطيب في كسب عطف الوصي على العرش الوزير أبي بكر بن غازي، وفعلا تمتع ابن الخطيب في ولاية الملك الطفل بالأمن التام، ولكن لم تطل المدة حتى خلع أبو زيان وولي مكانه أبو العباس المستنصر (776هـ /

[1] للمزيد من التفاصيل أنظر: ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (2001م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 4/438-445؛ المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1997)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 7/5-11؛ أزهار الرياض في أخبار عياض (1978)، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، 2 /186، 320؛ عنان، محمد عبدالله (1986)، لسان الدين، حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص. 230.

* لوشة مدينة بالأندلس من إقليم البيرة بينهما ثلاثين ميلا . الحميري، عبدا لمنعم (1948م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، ص.513.

* تولى الحكم وهو ابن ست وعشرين، فاضطلع بالأعباء السلطانية. انظر ترجمته: ابن الخطيب (2006م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص. 304 . 306؛ ابن الخطيب (2003)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص. 25.

* هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن الحسن الأنصاري، من أهل غرناطة ويكنى أبا الحسن، عمل في ديوان الإنشاء وكان على طريقة مثلى من الانقباض والنزاهة توفي بالوباء: ابن الخطيب، الإحاطة، 4/124.

[2] المصدر نفسه، 4/439، 640.

* الغني بالله محمد بن يوسف الأول، ولي الحكم بعد أبيه وكان عفيف النفس: انظر ترجمته: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 2/5، 13، 14.

1374م) فبدأ خصوم لسان الدين ابن الخطيب بتحريض السلطان الجديد عليه ومنهم ابن زمرك*. ووجهوا له تهمة الإلحاد والزندقة والطعن في الشريعة، وانتهى الأمر بابن الخطيب إلى أن سجن بفأس ثم خنق بسجنه وأضرمت النار في جثته (776هـ/1374م).[3]

وقد كان تأليف كتاب أعمال الأعلام في الفترة القصيرة التي مرت بين تقليد السلطان المريني الطفل أبي زيان وبين خلعه أي بين سنتي (774-776هـ/1374-1377م)،وعنوان الكتاب يدل على الغاية التي رمي إليها ابن الخطيب بتأليفه فقد أراد أن يهديه إلى السلطان الطفل.وهذا الكتاب مجهود تاريخي قيم شمل ثلاثة أقسام تناول القسم الأول،الذي لا زال مخطوطاً، تاريخ المشرق الإسلامي،أما القسم الثاني فهو عبارة عن تاريخ عام للأندلس حتى عصرالمؤلف "القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي".القسم الثالث والأخير تناول تاريخ المغرب حتى عهد الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي.وما يهمنا منها هو القسم الثاني الخاص بالأندلس،حيث ضم هذا القسم معلومات قيمة عن النواحي العمرانية مما يدل على أنه كان واسع الاطلاع في هذا الميدان.

المبحث الثاني: العمارة المدنية

أشار ابن الخطيب إلى إسهام الأندلسيون في بناء المدن والقصور للراحة لهم بين جنات وبساتين فذكر أن من بين المدن التي شهدت حركه عمرانية هي مدينة قرطبة*،حاضرة الخلافة الأموية. ومن بين المدن التي وردت في كتاب ابن الخطيب:

مدينة الرصافة: اشار ابن الخطيب انه بعد أن استقر الحكم لعبد الرحمن الداخل (138-172هـ/755-788م)* بدأت الحركة العمرانية فبنى الرصافة وقصرها إلى الشمال الغربي من قرطبة وجعلها للتنزه وللسكنى، وأحاطها بالحدائق التي أطلق عليها المنيات.* وجلب إليها الغروس والزروع من بلاد المشرق، والتي لم تكن موجودة من قبل ببلاد الأندلس، ومنها النخل، فإليه يعود أول أصل

* هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي (793هـ/ 1392م)، يكنى عبدا لله ويعرف بابن زمرك، من كبار الكتاب والشعراء في الأندلس وكان وزيرا لبني الأحمر، ولد بروض البيازين بغرناطة، وتتلمذ على يد لسان الدين ابن الخطيب- ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي (1998م): ديوان ابن زمرك، جمعه وقدم له وفهرسه أحمد سليم الحمصي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 8.

[3] ابن خلدون، عبدا لرحمن (2000م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، تحقيق: خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، 7/ 453.

* قرطبة، بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة أيضا والباء الموحدة، هي قاعدة الأندلس ومستقر الإمارة والخلافة ودار الملك طيلة حكم الأمويين وموطن الحركة العلمية والأدبية بالأندلس. تقع على ساحل جبل قرطبة الجنوبي على منحى الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير، وهي ذاتها خمس مدن تغلب عليها النصارى سنة 623هـ/1236م: الحميري، الروض المعطار، ص. 456؛ الحموي، شهاب الدين أبي عبدا لله (1957م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 4/324 -325.

* عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدا لملك بن مروان الملقب بصقر قريش ويعرف بالداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس سنة (138هـ/755م)، توفي بقرطبة ودفن في قصرها سنة (172هـ/ 788م): ابن الأبار (1985م) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1 / 36.

* عنى الأندلسيون بالمتنزهات وأسموها منيات أو جنات، ومنية الرصافة اتخذها في شمال قرطبة، واتخذ بها قصراً حسناً وجنات واسعة، واسماها بهذا الاسم نسبة إلى رصافة جدة هشام بأرض الشام: أنظر المقري، نفح الطيب، 11/2؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 10؛ الحميري، الروض المعطار، ص.269.

للنخل في الأندلس في حديقته منية الرصافة، فيذكر ابن الخطيب أن عبد الرحمن بن معاوية، عندما خرج متنزها إلى هذه الحديقة فرأى تلك النخلة هاجت شجنه، وتذكر بها وطنه، وشبه فيها غربته في الأندلس بغربة هذه النخلة في هذه البلاد فقال:

تَبَدَّتْ لَنَا وَسط الرُّصافة نخلة ❖ تناءت بأرض الغرب عن بَلدِ النخيلِ

فقلت شبيهي في التغرب والنوي ❖ وطول التنائي عن بنيَّ وعن أهْليَ

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ❖ فمثلك في الإقصاء المنتأى مِثلي[4]

وتوسع عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ/821-852م) في إنشاء المنتزهات والحدائق، وغرس الأشجار، وجلب المياه واقتطع لأولاده الإقطاعات حول مدينة قرطبة سميت بالأرباض أو المنيات وجعلوا منها مزارع يرتزقون فيها، وسميت هذه الأرباض بأسمائهم، منها منية مطرف، نسبة إلى مطرف بن عبد الرحمن بن الحكم، ويقع شرقي قرطبة، ومنية المغيرة، نسبة إلى المغيرة بن عبد الرحمن بن الحكم، ويقع أيضاً في الجهة الشرقية من المدينة.[5]

مدينة الزهراء: بناها عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (325هـ/936م)* ففي عهده بلغت الأندلس من المجد والثراء ما لم تبلغه امة أخرى فقد كان شغوفا بالبناء والعمران، ساعده على ذلك ما وصلت إليه جباية الأندلس وخراجها في عهده من كثرة وأتساع فخصص ثلثه للبناء والعمران.[6] يقول عنه ابن الخطيب "هو الذي شيد القصور وغرس الغروس وخلد الآثار" ولم يدخر وقتا في تشييد حاضرته الجديدة وتجميلها وإنشاء فيها قصر الخلافة العظيم وقصره الخاص المسمى بالمؤنس.[7] وكانت تقع في ضواحي قرطبة عند إطراف جبل العروس، وقصورها، خاصة قصر الزهراء بنيت في بقعة تقع على مقربة من غربي قرطبة شمال نهر الوادي الكبير. ومما يؤكد على براعة العمارة الأندلسية وروعتها في بناء الزهراء ما نقله لنا ابن الخطيب بوصفه الجميل وبما سجله من إحصائيات مهمة حول مقدار ما ينفق من الصخر حيث يقول: " وكان يضرب فيها من الصخر المنجور العريض الضخم كل يوم ستة ألاف صخرة، سواء من صخر التبليط أو التأسيس، فيذكر عنها أن أعمدة الرخام جلبت من قرطاجنة افريقية تونس وعددها أربعة الألف وثلاثمائة وأربعا وعشرين سارية، والبقية الباقية من الأعمدة من الأندلس، ومنها ألف وثلاثة عشر من ملك الروم في القسطنطينية حيث بعث بها الى الناصر مع هدايا. كما جلب إليها من بلاد الروم على يد ربيع الأسقف حوضا منقوشا بالذهب

[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص.10. كما وردت هذه القصيدة عند ابن الآبار حيث يقول انه من هذه النخلة توالد كل نخل الأندلس: الحلة السيراء، 39/1.

[5] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص.103.

* عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الحكم تسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله تولى الحكم بعد عبد الله بن محمد عن عمر يناهز اثنان وعشرين عاما: الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الازدي (2008م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص.13،12.

[6] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص. 38.

[7] المصدر نفسه.

ينقل هوينا من مكان إلى مكان حتى وصل البحر، وجلب إليه احمد ابن حزم حوضا ثانيا من بلاد الشام منقوشا فيه تماثيل فوضعه في بيت المنام من المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وكان عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الأحمر المرصع بالدرر النفيس الغالي المصنوع بدار الصناعة بقرطبة.[8] ويورد ابن الخطيب قول صاحب طبقات القضاة "أن الناصر لدين الله اتخذ بسطح القبة الماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه* بالزهراء قراميد مغشاه ذهبا وفضة وأنفق عليها مالا جسيما، وقرمد سقفها بها فاقعة إلى بيضاء ناصعة تسلب الأبصار بمطارح أنوارها المشعشعة، وجلس فيها إثر إتمامها لأهل مملكته".[9] كما وصف مباني وقصور قرطبة بعدة أوصاف نحو قوله: "قرطبة وما إدراك ماهية، ذات الأرجاء الحالية الطامية والأطواد الراسخة الراسية، والمباني المباهية، والزهراء الزاهية، والمحاسن غير المتناهية حيث هالة بدر السماء قد استدارت من السور المشيد البناء دارا ونهر المجرة من نهرها الفياض المسلول حسامه من غمود الغياض، حيث جسور القصور المديدة، حيث أثار العامري المجاهد".[10]

مدينة الزاهرة:

بناها المنصور بن أبي عامر* (366 392هـ/ 967هـ-998م) حيث اهتم بعد توليه الأندلس بالجانب العمراني فشرع في بناء مدينة على مقربة من شرقي قرطبة على الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير وذلك في سنة (638هـ/1378م) وسماها الزاهرة ونقل إليها دواوين الدولة وأنتقل إليها هو وحاشيته للسكنى فيها. ويفهم ذلك من ابن الخطيب إذ يقول: "واتخذ فيها الدواوين للأعمال، والحجر للغلمان والسقائف للحراس، والقصور للولد والخاصة، والاصطبلات للظهر والكراع، وعمل داخلها الاهراء الواسعة والخزائن الوثيقة وأنتقل إليها ورتب فيها مقاعد الوزراء سقائف العمال، وكتب أن تجلب إليها وظائف الجبايات والأموال، وعطل قصر الخلافة وسد بابه ونصب رسم الشرطة تلقاءه، وادر عليها السور الحريز الوثيق. وأشاع أن السلطان فوض إليه النظر في أمر الملك، وتخلى بعبادة ربه". ويصفها ا بن الخطيب في قوله: "الزاهرة ذات القصور الفخمة والمنتزهات المخترعة".

---

[8] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص. 38-39.

* سميت الرحبة التي أقيم فيها البهو الرئيسي باسم السطح الممرد: مؤنس، حسين (1992م)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ص. 376.

[9] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 38؛ سالم، السيد عبد العزيز سالم (1985م)، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص.46.

[10] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص. 146.

* هو محمد بن عبدا لله بن محمد بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبدا لملك المعافري، ولد سنة 327هـ/939م، أصله ممن الجزيرة الخضراء قدم إلى قرطبة شابا وكان ذا طموح كبير في الوصول إلى أعلى المراتب فتصرف لأول أمره لصبح أم الخليفة هشام المؤيد بالنظر في أموالها وضياعها وقد خدمته الظروف فيما بعد وفاة الحكم المستنصر ومجئ هشام المؤيد إلى الخلافة الذي كان صغير السن، تولى إدارة الدولة مجلس عين لهذا الغرض من ضمنهم المنصور بن أبي عامر ، والذي استطاع بحنكته السياسية من القضاء على أعضاء المجلس والحجر على الخليفة وينفرد بالسلطة لتشهد الأندلس تحت حكمه عهد جديد سمي بعصر الحجابة أو الدولة العامرية من سنة (366-422هـ/976-1030م): ابن الآبار، الحلة السيراء،1/268-277.

ويشير الى سبب بنائها ما نصه: "وسما إلى ما سمت الملوك إليه من الاختصاص بقصر ينزله وبلد يسكنه خوفا مما تجره عليه الحيل في الدخول إلى قصر السلطان فابتنى مديته الزاهرة".[11]

وبالرغم من كل هذا الاهتمام الذي حظيت به الزاهرة إلا أنها لم تعمر طويلا، فقد كان عمرها رهينا بعمر الدولة العامرية، وهذا ما أشار إليه ابن الخطيب عندما قال أن "الزاهرة انتهبت، فتقسمت الأيدي كل ما اشتملت عليه من مال مخزون وآلة ومتاع وعدد سلطانية، وفرش، وآنية، حتى اقتلعت الأبواب الوثيقة والخشب الضخمة ....وحط أسوارها، وقلع ابوابها، وتشعيث قصورها، وطمس أثارها... فبلغوا من تدمير تلك المدينة الجليلة ما لا يبلغه الدهور المتعاقبة؛ فأصبحت بلقعاً كأن لم تغنى بالأمس".[12]

وقد تسابق بعض سلاطين الأندلس في تشييد القصور الفاخرة التي تليق بهم، ففي فصل بعنوان "الإلمام بشي من إطراء الأندلس إلى إحكام التمدن والاعتمار وتشييد البناء" يورد ابن الخطيب قول أبو مروان صاحب كتاب المتين – الذي يدل على تنافس الخلفاء في بناء القصور– فيقول: "تحاسدوا في اقتناء الأصول، وابتناء القصور وغالوا في الفرش والأمتعة".[13] وفي أيام عبد الرحمن بن الحكم (180–206هـ) "احتفلت دولة بني أمية بالأندلس وعظمت الألقاب، وشيدت القصور، وجلبت إليها المياه، وجلبت إليه من المشرق، بعد أن عاثت الفتنة في قصور الأمير وخزائن بغداد، الذخيرة الرفيعة كعقد الشفاء ومثله أعلاق زبيدة بنت جعفر. وفي أيامه اتخذ الطراز الذي كان حديث الرفاق وطرفة أهل الآفاق".[14]

وعند تولي هشام المؤيد بن الحكم* (336–392هـ) كانت بلاد الأندلس في أحسن أحوالها سياسيا وعسكريا واقتصاديا. أوجز صورتها آنذاك ابن الخطيب بقوله: "بويع ولي عهده هشام المؤيد بالله والخلافة قد بلغت المنتهى، وأدركت الجني، وبلغ طورها وانتهى دورها، فكانت كمامة ثم زهرة بسامة، ثم ثمرة بهية، ثم فاكهة شهية ..... فكان المال قد ضاقت عنه خزائنه، والمصر قد عظمت مزاياه ومزاينه .... والمباني قد بلغت السماء سموا، وازدحمت الكواكب علوا، والبلاد قد بلغ فيها إلى أقاصي الاهتمام، وفرغت بناتها من لبنات التمام والآثار الصالحة قد تخلدت والمآثر الواضحة قد تعددت ...وخرج في العمارة عن المعتاد.[15] أما ملوك الطوائف فكانوا ينعمون بالثراء الفاحش الذي شجعهم على بناء القصور، إذ يقول: "استوفوا في ذلك آجالا وإعمارا وخلفوا

[11] ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص. 62، 76.

[12] نفسه، ص. 111.

[13] نفسه، ص. 84.

[14] نفسه، ص. 20.

* هشام بن الحكم بن عبدا لرحمن بن محمد بن عبدا لله تولى الحكم بعد أبيه الحكم المستنصر وتلقب بالمؤيد بالله: ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص. 17.

[15] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 43–44.

أثارا".[16] ومن بينهم المعتضد بن عباد (433هـ/1032م) "ابتنى القصور السامية، واعتمر العمارات المغلة، واكتسب الملابس الفاخرة وغالى في الأعلاق السنية".[17]

أشار ابن خلدون ايضاً إلى قصر دار الإمارة ببلنسية الذي نزلا فيه الأميران مبارك ومظفر العامريين ويقول عنهم "إنهما قد بلغا الغاية من اقتناء الأسلحة، والآلات الملوكية، والخيل المغربات ونفيس الحلي والحلل وإشادة البناء للقصور".[18] واختط أبو الجيش مجاهد العامري* صاحب دانية مدينة واسعة شرع في بنائها وأنتقل إليها بأهله وولده سنة 406هـ.[19]

كما ذكر القصر الذي ابتناه محمد بن يوسف* (733-755هـ/1333-1354م) بالشريعة القديمة شرقي مدينة غرناطة* حيث يورد ابن الخطيب "وكنت ساكنا بقصر ابتنيته بالشريعة القديمة من شرقي المدينة كنت اسكنه أكثر فصول السنة".[20]

الأرباض*: قدم ابن الخطيب إحصائية عن الأرباض التي تحيط بقرطبة فقال أنها بلغت أحدى وعشرين ربضا، كل واحد منها يعد أكبر من مدينة من مدائن الأندلس. في الجهة الغربية منها تسعة أرباض: ربض الرقاقين، وربض مسجد الكهف وربض حوانيت المحدث وربض حمام الالبيري وربض مسجد مسرور. أما الجهة الجوفية ثلاثة أرباض منها ربض باب اليهود وربض قوت رأسه المنسوب إلى أم سلمه والجهة القبلية اثنان ربض شقندة وربض منية المغيرة وبالجهة الغربية ربض منية عبد الله وربض فرن بريل وربض فحص الناعورة وربض المدينة وربض القصبة العتيقة واسطة البلدة. أما في القسم الأوسط من قرطبة ربض المدينة والقصبة العتيقة وواسطة البلدة وكان ينقسم على ربضين، الجامع وما حوله ربض واحد، يتولاه عريفه وحارسة على حدا، وربض أخر بذاته ينفرد به عريفه[21] إضافة إلى ربض البيازين بغرناطة.[22] واشار إلى اعتنائهم بتوصيل المياه إلى هذه المدن التي تم تشييدها، فذكر أن خيران

---

[16] ابن الخطيب، المصدر نفسه ، ص. 144.

[17] المصدر نفسه، ص. 156.

[18] المصدر نفسه، ص. 222.

* الأمير مبارك العامري بن عبيد الله بن أبي عامر، ولي أمارة بلنسية في أواخر العصر الأموي: الزركلي، خير الدين (2002م): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 5/ 271.

[19] ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص. 219.

* أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ابن الأحمر يقول عنه ابن الخطيب وهو بدر الملوك كان ابيض البشرة مليح القد كث اللحية عذب الكلام وافر العقل: ابن الخطيب (1347م) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين بن الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ص. 86.

* غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة ومعناها الرمانة بلسان العجم وسمي البلد لحسنه وهي أقدم كور البيرة من أعمال الأندلس بينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا: ياقوت الحموي، معجم البلدان ،195/4.

[20] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 311.

* الربض، يعني الضاحية أو ضواحي المدينة وما حولها من مساكن، وجمعها أرباض والمقصود بها الحي الجنوبي من أحياء قرطبة الذي امتد بعد إنشاء القنطرة على نهر الوادي الكبير إلى ضفته الأخرى المواجهة للمدينة وكان الحي مكتظاً بالسكان ولاسيما التجار والزراع وأهل الحرف والطلبة المثقفين: المقري، نفح الطيب، 266/1 هامش 5، 5/2 هامش 2.

[21] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص. 103.

[22] ابن الخطيب، الإحاطة، 1 / 387؛ أعمال الأعلام، ص. 300.

العامري هو الذي اوصل المياه إلى المرية فقال " وله بالمرية الاثار الخالدة، والحسنات الشهيرة، فهو الذي اوصل إليها الماء وبنى الحمة العجيبة".[23]

القناطر*:

امتازت الأندلس بكثرة أنهارها فكان لابد من إنشاء القناطر لتسهيل عبور الناس وتسيير حركتهم،[24] وقد حضي هذا الأمر اهتمام الأمراء في بلاد الأندلس. ومن القناطر التي أوردها ابن الخطيب:

القنطرة العظمى بقرطبة: وهي من أهم القناطر التي تصل بين قرطبة وربضها المعروف بشقندة. يرجع تاريخ بنائها إلى السمح الخولاني والي الأندلس من قبل عمر بن عبدا لعزيز سنة 101هـ.[25] وقد زاد هشام الرضى* في بنائها بنفسه وأنفق عليها أموالا عظيمة، ووصفها ابن الخطيب بأنها "قنطرة حصينة من اجل البنيان قدرا وأعظمه خطرا وهي من الجامع في قبلته وبالقرب منه، فأنتظم بها الشكل إلى الشكل وجاءت كالفرع لذلك الأصل".[26]

قنطرة بلنسية*: ذكرها ابن الخطيب عند حديثه عن الأمير مبارك العامري وكانت مصنعه من الخشب فقال انه "ركب يوما من قصر بلنسية، وقد تعرض له أهلها مستغيثين من مال اقترضه فقال لهم، إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه، فلا تؤخر عقوبتي يومي هذا. وركب إثر ذلك. فلما أتى إلى القنطرة وكانت من الخشب، خرجت رجل فرسه من خدها فرمى به أسفلها، واعترضته خشبة ثانية شرخت وجهه، وسقط الفرس عليه فأفضت نفسه وكفاهم الله أمره، وثارت العامة وقتل المظفر وانقضت أيامه".[27] كما ذكر أنه من آثار المنصور بن عامر بناء القناطر بنهري قرطبة واستجة.[28]

---

[23] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 212. والحمة عين حارة الماء يشفى بها الإعلاء: ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (2009م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ص. 178، حيث ذكر ان المرضى يستشفون بهذه الحمه ويأتون إليها من أقاصي البلاد.

* القنطرة هي الجسر الذي يبنى بالأجر أو بالحجارة على الماء ويعبر عليه وهي كذلك ما ارتفع من البنيان: ابن منظور، لسان العرب، 324/2.

[24] سالم، السيد عبدا لعزيز (د.ت)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص. 26.

[25] السرجاني، راغب (2011م)، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة إقرا للنشر والتوزيع والترجمة، 310/1.

* هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، كنيته أبو الوليد ولي بعد أبيه عبد الرحمن وسنه حينئذ ثلاثون سنة وكان حسن السيرة متحيزا للعدل: الحميدي، المصدر السابق، ص. 10.

[26] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 12.

* تقع بلنسية في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانه ستة عشر يوما. وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس عامرة كثيرة التجارات وبها أسواق وقلاع على نهر جاري، وبها بساتين وجنات وعمارات: الحميري، الروض المعطار، ص.97.

[27] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 225.

[28] المصدر نفسه، ص. 76.

الفنادق والحمامات: أورد ابن الخطيب أشارة بسيطة إلى الفنادق عندما ذكر أن ابن مردنيش تعهد لجنوه بأن يبني لرعاياه الذين يسكنون بلنسية ودانية فندقا يزالون فيه تجارتهم وشؤونهم، وأن يعين لهم حماما يذهبون له كل أسبوع مجانا.[29] فالحمامات من أهم المنشآت المدنية في الدولة الإسلامية وذلك لارتباطها الوثيق بالطهارة.[30] وقد أطلق على أحد حمامات قرطبة على ربض يعرف باسم ربض حمام الألبيري.[31]

المبحث الثالث: العمارة الدينية

جامع قرطبة: يشير ان الخطيب انه في عهد السلطان عبد الرحمن الداخل سنة 170هـ/786م بني على نهر الوادي الكبير مسجد قرطبة الذي يعد من أعظم الآثار العمرانية الإسلامية في بلاد الأندلس.* ثم جدد واجهة الجامع الخليفة عبد الرحمن الناصر، وهدم منارته القديمة، وإنشاء مكانها منارة أخرى. يقول ابن الخطيب: "بأنه زاد في المسجد الأعظم الزيادة الهائلة وبنى المنار الأعظم سنة 340هـ/951م وجعل في أعلى ذروته ثلاث رمانات، اثنان منها ذهب وواحدة فضة، طوق كل رمانة فيها قنطار من الذهب، ودور أحداها ثلاثة أذرع ونصف".[32] وكانت إذا أرسلت الشمس أشعتها عليها تكاد تخطف الأبصار من بريقها. ثم زاد فيه ولده الحكم المستنصر الزيادات الكبيرة، وزينه بالفسيفساء البديعة المجتلبة من قبل ملك القسطنطينية، واستقدم معها خبيرا بأعمال الفسيفساء، ومنه تعلم بعض الصناع المسلمين حتى حذقوا في ذلك وتفوقوا في الصنعة، محاذيا بفعله مافعله الوليد بن عبد الملك بمسجد دمشق، وبرعوا فيه إلى أن كمل ماأراده. وأخيرا جاء المنصور بن أبي عامر فزاد فيه من الناحية الشرقية زيادة كبيرة.[33] وقد أعطى ابن الخطيب وصفا دقيقا لهذا المسجد حين أورد قول الرشاطي عن قرطبة إذ قال "قرطبة بها الجامع المشهور أمره الشائع ذكره من أجل مصانع الدنيا لكبر مساحته، وإحكام صنعه، وجمال هيبته وإتقان بنيته تهمم به الخلفاء من بني أمية فزادوا فيه زيادة بعد زيادة وتهمما اثر تهمم، حتى بلغ الغاية في الإتقان واستولى على أمر الإحسان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه

[29] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 260.

[30] سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص. 24.

[31] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 103.

* أنشا مسجد قرطبة في نهاية جنوبي غربي قرطبة على نهر الوادي الكبير على يد عبدا لرحمن الذي أراد أن يكون أعظم مساجد الأندلس وأفخمها، فجلب إليه الأعمدة الضخمة والرخام المموه من أربونة واشبيلية والقسطنطينية، ولكنه توفي فبل إتمامه (172هـ /787م): المقري، نفح الطيب، 1/ 549؛ عنان، محمد عبدا لله (1961م)، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص. 20.

[32] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 38.

[33] المصدر نفسه، ص. 42، 76.

الوصف".[34]وهكذا لبث الأمراء والخلفاء عصورا يتعاقبون في توسيع جامع قرطبة وتجميله حتى عدا برقعته الشاسعة من أعظم المساجد في العالم الإسلامي.

كما لم يخلو كتاب اعمال الاعلام من الاشارة الى عدد من المساجد اخرى ومنها: المسجد الجامع بالمرية الذي ذكر بأنه من أثار المنصور بن أبي عامر الذي بناه و "زاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ما سوى القبلة"[35]؛مسجد مالقة: ذكر ابن الخطيب أن تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس"هو الذي صنع ثريا الفضة بمسجدها وهي باقية إلى اليوم".[36]بالإضافة إلى المساجد الصغيرة والتي من بينها مسجد مسرور، ومسجد الكهف، ومسجد الشفاء بقرطبة، وقد سميت بعض ارباض قرطبة بها.[37]

المبحث الرابع: العمارة الحربية

ذكر ابن الخطيب اهتمام الأندلسيون بالتحصينات العسكرية لمدن الأندلس للتصدي لأي ثورات مناهضة ومن بينها القلاع والحصون*. فمن **القلاع** التي أشار إليها وبنيت في أماكن متفرقة من بلاد الأندلس:

- قلعة أيوب*: ورد ذكرها عندما ثار أهل سرقسطة على يحي بن منذر بن يحي صرفوا طاعتهم لسليمان بن هود(ت 438. 1038م) الذي عظم أمره وولى ابنه محمد مدينة قلعة أيوب.[38]
- قلعة عبد السلام: قلعه حصينة كانت تقع بالقرب من مجريط وإلى الجنوب الغربي من وأدب الحجارة، ويذكر ابن الخطيب بأنها من قلاع الثغر قرب وادي الحجارة.[39]

[34] ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص. 145.

[35] المصدر نفسه، ص. 216.

[36] المصدر نفسه، ص. 236.

[37] المصدر نفسه، ص. 103.

* القلاع مفرد القلعة وقلع واقلعوا بهذه البلاد إقلاعا بنوها فجعلوها كالقلعة وهي الحصن الممتنع في الجبل، إما الحصون مفردها حصن المكان فهو حصين منيع وأحصنه صاحبه وحصنه والحصن كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه: ابن منظور، لسان العرب، 27/21 ،324.

* مدينه من أعمال سرقسطة بالقرب من مدينة سالم بنى قلعتها أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير الفاتح وإليه تنسب وكان سقوطها في يد الأسبان أوائل القرن السادس: المراكشي، عبد الواحد (1949م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص. 12؛ الحميري، الروض المعطار، ص. 469.

[38] ابن الخطيب، صدر سابق، ص. 170-171.

[39] المصدر نفسه، ص. 209.

كما ورد في اعمال الاعلام اسماء لقلاع اخرى دون ذكر أي تفاصيل، مثل: قلعة ابن أخي حصاد؛[40] قلعة يحصب؛[41] قلعة ابن إلياس؛[42] وقلعة قلشانة.[43]

اما الحصون فقد اهتم الأندلسيون بتحصين مدن الأندلس اهتماما كبيرا، فأقاموا الحصون في سائر مدنها. وأول هذه المدن قرطبة، حيث قام عبدا لرحمن الداخل سنة 150هـ بترميم حصونها ومن بينها حصن قامرة وحصن بلاي.[44] ومن الحصون ايضاً حصن القبطة بالمرية؛[45] وحصن القصبة الذي حصنه أحمد بن ملحان الملقب بالمتأيد بالله؛[46] حصن روطه وهو احد حصون سرقسطة المنيعة؛[47] حصن الحامة من أعمال جليقية؛[48] وحصن خليدة ببشتر الذي بناه الناصر لدين الله بجوار مدينة ببشتر عندما تغلب عن ابن حفصون.[49] ومن الحصون ايضاً حصن الشوط في موسطة كور الغرب وصاحبه ابن بطات؛[50] وحصن مطرنش وهو الحصن الذي ثار فيه يوسف بن هلال عل صهره محمد ابن مردنيش أمير شرق الأندلس؛[51] حصن البنت وحصن ابن الشرف بجبل قرطبة وهو الحصن الذي نفي إليه هشام المعتمد بالله؛[52] حصن شقورة؛ حصن أنتنيشة أو أنتنسة من أعمال كوره وادي الحجارة، وهو من حصون الثغر الأوسط المتاخمة لمدينة سالم ويقع في الشمال من وادي الحجارة إلى الغرب مدينة سالم.[53] ايضاً حصن قمارش وهو معقل الأندلس وكان ملوكه من بني حمود؛ وحصن أندرش من عمل مدينة المرية؛ حصن البيط وحصن منتقوط؛[54] حصن قنبيل ومنتماس وبجاج بغرناطة؛[55]

[40] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 210. قلعة الحصادي قلع منيعة على أطراف كورة شذونة، وقد نسبت الى ابن ابي حصاد، قائد المعتمد بن عباد تعظيما لشأنه ومكانته في الدولة: ابن بسام، أبي الحسن علي الشنتريني (2012)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العالمية، بيروت، 3/94،91؛ الطاهري، أحمد (2006)، البناء والعمران الحضاري بإشبيلية العبادية، دار الكتب العالمية، بيروت، ص. 161.

[41] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 293، 305، 335. وتقع في الشمال الغربي من غرناطة بينها وبين قرطبة 52 كيلو وتسمى بذلك نسبة إلى بني يحصب الذين سكنوها، وهم جماعة من حمير. وتسمى أيضا قلعة بني سعيد حيث سكنها جماعه من بني سعيد في المغرب: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص 446.

[42] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 27.

[43] ابن الخطيب، المصدر السابق ، ص. 239.

[44] المصدر السابق، ص. 31.

[45] نفسه، ص. 42.

[46] نفسه، ص. 264.

[47] نفسه، ص. 197.

[48] نفسه، ص. 60.

[49] نفسه، ص. 34.

[50] نفسه، ص. 209.

[51] نفسه، ص. 260.

[52] نفسه، ص. 138-139.

[53] نفسه، ص. 71.

[54] نفسه، ص. 257، 290، 296.

[55] نفسه، ص. 294.

حصن المرية التي بناها عبد الرحمن الناصر إلا أنها نسبت إلى خيران العامري عندما ولاه عليها الحاجب المنصور بن أبي عامر.[56]

الأسوار والأبواب:

في هذا الشأن ذكر ابن الخطيب بأن ولاة الاندلس اهتموا ببناء وصيانة الأسوار وفرضوا على رعاياهم ضريبة تنفق على هذا الهدف الجهادي الدفاعي، فقد كان لابد من تحويط المدن بالاسوار في هذا العصر المشحون بالاضطرابات. ومن أشهر المدن التي بنيت اسوارها أو أعيد ترميمها مدينة قرطبة فقد ذكر ابن الخطيب ان المهدي بن عبد الجبار هو الذي احتفر حول قرطبة خندقها.[57] أسوار قرطبة وصفها ابن الخطيب بقوله: "قرطبة وما أدراك ماهية، ذات الأرجاء الحالية الطامية، والاطواد الراسخة الراسية، والمباني المباهية، والزهراء الزاهية والمحاسن غير المتناهية، حيث هالة بدر السماء قد استدارت من السور المشيد البناء دارا".[58] وايضاً أسوار المرية التى يرجع الفضل في سد عورات وبترميمها الى ولي المدينة خيران العامري.[59]

أما ابواب مدن الأندلس المشهورة فقد اشار ابن الخطيب الى عدد منها كباب موسى بالمرية، وهو الباب الذي خرج منه معز الدولة بن المعتصم بن صمداح الى دار الصنعة حيث أبحر الى بجاية حين وافاه اليقين بتغلب المرابطين على المعتمد بن عباد بإشبيلية؛[60] باب يعقوب الملاصق لحمراء غرناطة عن اليمين، وهو الباب الذي خرجت منه جثث دون بطره الوصي عن ابن أخوه الفنش بعد أن وقعت عليه وقيعة المرج بظاهر غرناطة.[61] اما قرطبة فقد اشار ابن الخطيب الى بابين من ابوابها السبعة وهم: باب اليهود بشمال قرطبة، وقد سمي أحد أرباض قرطبة باسم هذا الباب.[62]وباب السدة، ويقول الدكتور سايمون الحايك بأنه كان الباب الرئيسي لقصر الخلافة، ويطل على ضفة الوادي الكبير وعلى القنطرة مواجهة للمسجد الجامع، وكانت العادة ان تعرض على سارية عارية بجانبه اهم الغنائم التي كان الحكام يضفرون بها من أعدائهم وتعلق فوقها ايضا رؤوس من يظفرون بهم من الاعداء.[63]

السجون:

---

[56] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 211.

[57] المصدر السابق، ص 116.

[58] المصدر نفسه، ص. 146.

[59] المصدر نفسه، ص. 211.

[60] المصدر نفسه، ص. 192. اشار الدكتور السيد عبد العزيز بأن الباب كان ينفتح في منتصف السور القبلي للمدينة الداخلية، وكان لا يبعد كثيراً عن المسجد الجامع بألمرية: سالم، السيد عبد العزيز (1969)، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص. 127.

[61] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 334.

[62] المصدر نفسه، ص. 103. وعن هذا الباب يقول أبو عامر بن شهيد:

لقد أطلعوا عند باب اليهود .. بدراً أبي الحُسنُ أن يُكسفا

تراه اليهودُ على بابها .. أميراً فتحسبهُ يوسُفا

وقد استقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا: باب الهدى: المقري، نفح الطيب، 156/1.

[63] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 119؛ الحايك، سيمون (د.ت)، عبد الرحمن الأوسط، المطبعة البولسية، جونية، لبنان، ص. 106.

كانت من المنشآت الهامة التي حرص الأندلسيون على بنائها كوسيلة للتأديب والعقاب والردع للمجرمين. كما استخدمت السجون ايضاً للتخلص من الخصوم السياسيين او المنتقدين والمشككين في اداء السلطة الحاكمة. وقد انتشرت السجون على امتداد رقعة الدول الاسلامية في الأندلس والجهات صاحبة السلطة والاجهزة التشريعية الى كثرت السجون ويتضح ذلك من حديث ابن الخطيب عن الخليفة المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، أنه من أعماله الزكية نظره في السجون وكشفه عمن طال منهم سجنه وتعذر خلاصه فيطلق من يؤمن إضراره بالمسلمين ويرجى سواهم.[64] وهذه أشاره إلى كثرة السجون ، في معظم المدن الأندلسية ومن بين السجون التي ورد ذكرها في كتابه أعمال الأعلام: وقد انتشرت السجون على امتداد رقعة الدول الاسلامية في الأندلس للحاجة اليها لتنفيذ العقوبات التي يستحقها بعض الافراد والجماعات الخارجة عن النظام العام للدولة او المهددة للأمن الاجتماعي. وعلى الرغم من تعددها، لم يشر كتاب اعمال الاعلام الا الى اثنين فقط من هذه السجون: السجن القديم بقرطبة، وقد تسمى أحد أرباض قرطبة باسمه[65]؛ وسجن المطبق المعروف بسجن العامرية في المرية الذي استحدث في عصر بني امية فهو الذي سجن أبي جعفر المصحفي ذكره ابن الخطيب عند حديثه عن محمد بن هشام عبدا لرحمن بن الجبار الملقب بالمهدي عندما أعلن الثورة مستغلا غياب عبد الرحمن ابن شنجول بن المنصور بن أبي عامر، أثناء غزواته وأعلن الثورة سنة 399هـ وتمكن من الوثوب على كرسي الحكم يؤيده أقاربه من بني مروان وأنصاره من العامة والغوغاء وسفلة القوم وجعل يحركهم على العامرية ويخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه وبادر بكسر سجن العامرية وفيه اللصوص والذعار وأرباب الجرائم".[66] كما ورد ذكره عند حديثه عن عبد الرحمن بن هشام بن عبدا لجبار" بويع عند خروج البرابرة من ربض قرطبة سنة (414هـ/1014م) وتلقب بالمستظهر بالله عند اضطراب أمر القاسم بن حمود فيقول: "وبث دعوته فلم يتأت له ذلك ونذر به الوزراء والمشيخة فحذروا من شؤم الوثوب ووقع الطلب علي، فلم ،يظهر ألا يوم هجومه، فآسفوه بذلك، وأن كانوا قد أعلقوه بالشورى لبراعته، وجعلوه ثالث ثلاثة بعد سليمان المرتضى ومحمد بن العراق، فاستقل بالأمر يومئذ، وتكنفه أمير الدائرة محمود وعنبر المقدمان على الرجال المتخذين بقرطبة لحمايتها من القاسم والبرابرة فساء الوزراء والمشيخة ذلك، ولم يمهلهم أن قبض عليهم، واعتقلهم في المطبق

[64] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 86.

[65] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص103.

[66] نفسه، ص 110.

وأغرمهم أموالا، فسعوا عليه من المطبق، وكاتبوا الناس، فاستجابوا لهم وثاروا، فكسروا المطبق وخرج الوزراء والمشيخة والتف بهم الناس".[67]

وهناك إشارات إلى سجون بداخل القصر عندما علم أن صاحب حصن شقورة تمكن من القبض على وزيره أبي بكر بن عمار راسله وطلب منه تسليمه له ويقول ابن الخطيب: "واعتقله المعتمد بن عباد ببعض حجر القصر، وكان يستحضره، فيبالغ في عتبه، ويتلقاه ابن عمار من الاستعطاف والاسترحام بما كان يحل عقدة موجد ته ويطمع في الإبقاء عليه، لولا أن أعداءه شمروا للإغراء به ونسبوا إليه أقوالا في إساءة ذكره، والنيل من أم ولده فأمضى قتله بيده".[68]

الرباطات:

وهي التي يرابط فيها المسلمين من أهل التدين والصلاح لواجب الجهاد وحراسة السواحل. وكانت تنتشر في المناطق الساحلية لتأمين تلك السواحل من أي خطر يتهددهم.[69] وكان هناك عدد كبير منها إلا أن ابن الخطيب لم يذكر في كتابه سوى رباط الفتح بسلا[70]، بالإضافة إلى الرباط التي ابتناه أبو القاسم بن قسي بقرية جلة من قرى شلب حيث كان يجمع بها دائرته التي دار بها على الأندلس وادعى الولاية وسمي بالمهدي.[71]

الخاتمة

يعد هذا البحث دراسة حضارية بالدرجة الأولى إذ الهدف منه إبراز جانب مهم تمتعت به الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس وهو الجانب العمراني، فقد ضمن ابن الخطيب كتابه أعمال الأعلام، العديد من النواحي العمرانية التي تدل على انه كان واسع الاطلاع في هذا المضمار، فبينت هذه الدراسة عدد من النتائج من بينها:

– بين ابن الخطيب النواحي العمرانية في الأندلس من خلال سرده للإحداث السياسية لحكام الأندلس وفقا للتسلسل الزمني. فبين أن الاهتمام بالجانب العمراني بدا منذ تولي عبدا لرحمن بن معاوية " الداخل " الحكم في الأندلس واستمر الحكام من بعده بالاهتمام بهذا الجانب فكان لكل ذلك أثره الكبير في الحركة العمرانية التي شاهدتها بلاد الأندلس

[67] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 134.

[68] المصدر نفسه، ص161.

[69] عاشور، سعيد وآخرون (1985 م)، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الكويت، ص 307 . 308؛ العبادي، احمد مختار (د.ت)، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص. 290.

[70] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 280.

[71] المصدر نفسه، ص. 249.

– أمدنا ابن الخطيب بمعلومات وافية حول المدن والقصور التي إنشائها حكام الأندلس والتي كانت أية في الجمال والبراعة العمرانية من بينها مدينة الرصافة والزهراء والزاهرة وقصورهن فبين تاريخ أنشائها ومواد البناء التي استخدموها وذكر أنها جلبت من الأندلس وافريقية وأوروبا

– وأشار في كتابه إلي الحدائق التي أحاطوها بالقصور وأسموها منيات وجلبوا إليها غروس وأشجار المشرق فذكر من بين هذه الغروس شجرة النخيل والتي لم تكن موجودة في الأندلس.

– كما ذكر الأرباض وقدم إحصائية بعددها بقوله: بلغت عشرين ربضا وكل ربض يعد أكبر من مدينة. وبين اهتمام الخلفاء بإنشاء القناطر التي من بينها قنطرة قرطبة وقنطرة بلنسية

– ومن أهم المشيدات العمرانية، المساجد فقد بين اهتمام السلاطين بالعمارة الدينية فأسهموا في بناء المساجد وبذلوا جهدا في توسيعها وترميمها منها مسجد قرطبة ومسجد المرية ومسجد مالقة.

– وبين أن الأندلس عرفت تقدم وتطور كبير في العمارة الحربية المتعددة المنشآت التي من بينها القلاع والحصون، والأسوار والأبواب والأربطة كما أشار إلى السجون وذلك بفضل خلفاء الأندلس، الذين بذلوا مجهود كبير في تحصينها للحد من خطر النصارى الأسبان.

Abstract:

The study deals with the urban aspects of al-Andalus as mentioned in the book in question, which is marked as "*Aʿmāl al-aʿlām*" by the writer and historian Ibn al-Khaṭīb. The book under study is considered one of the important sources concerned with the monitoring of architectural arts. In addition to valuable information in various aspects of civilization, this section of the book also contains important features of urban activities, above all the construction and reconstruction of cities, mosques and palaces. The book provides an accurate description of the most important cities and fortifications built by some of the sultans of al-Andalus, such as al-Zahra and al-Zahira, in addition to the construction of palaces, arches and environs' surrounding Cordoba, which is said to have reached twenty environs. Ibn Khaldun also referred to religious architecture, describing ways of building mosques and decorating them. The book also includes information about military architecture, where it mentions how the Andalusians excelled in building castles and fortifying the cities with high walls. This study comes within the field of historical studies that are interested in revealing the civilized aspects of Islamic states and the efforts of Muslim historians in this area.

مصادر ومراجع البحث:

أولاً: المصادر

- ابن الأبار، ابوعبدالله محمد بن عبدا لله القضاعي، (**ت658 هـ /1260م**)، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985م.

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله، (**ت776/ 1374م**)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

- ابن بسام، أبي الحسن علي الشنتريني، (**2012**)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العالمية، بيروت.

- ابن بطوطة، ابوعبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي، (**ت 779هـ / 1371م**)، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت، 2009م.

- ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي، (**1998**)**ديوان ابن زمرك**، تحقيق: احمد سليم الحمصي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1.

- **أزهار الرياض في أخبار عياض**، (**1978**) صندوق أحياء التراث الاسلامي، القاهرة.

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – القسم الثاني الخاص بإسبانية الإسلامية،(**2006**) تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح عبدا لله الأزدي، (**ت 488هـ**)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2008م.

- الحميري، عبد المنعم، (**ت 866هـ / 1466م**)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1948م.

- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، (**1347**) تحقيق: محب الدين ابن الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.

- المراكشي، عبد الواحد، (**ت 669هـ /1270م**)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

- المقري، شهاب الدين أبو العباس احمد التلمساني، (**ت 1041هـ/1631م**)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1998م.

-**كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، (**2003**)،تحقيق: محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، ط3، بور سعيد،

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، (**ت 626هـ/ 1229م**)، **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1977م.

ثانيا: المراجع :

- (**1986**)، **لسان الدين، حياته وتراثه الفكري**، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- (**1992**)، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، القاهرة.

- الحايك، سيمون، (د.ت)، **عبد الرحمن الأوسط**، المطبعة البولسية، جونية، لبنان.

- الزركلي، خير الدين، (**2002م**)، **الاعلام**، دار العلم للملايين، بيروت.

- سالم، السيد عبد العزيز، (**1969**)، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت.

- السرجاني، راغب، (**2011**)، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

- الطاهري، أحمد، (**2006**)، **البناء والعمران الحضاري بإشبيلية العبادية**، دار الكتب العالمية، بيروت.

- عاشور، سعيد وآخرون (**1985**)، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، الكويت.

- العبادي، أحمد مختار، (**د.ت**)، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- عنان، محمد عبدالله، (**1961**)، **الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال**، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، (**1985**)، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة.

- **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**،(**د.ت**)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- محمد، رزق عاصم، (**2000**)، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة.

- مؤنس، حسين، (**1968**)، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة.